الصـــــــورة الشعـــريــة

بوزيدي نعيمة

أ.مساعدة قسم اللغة العربية

جامعة سعد دحلب–البليدة–

الملخص:

إن كل عمل أدبي يشتمل علي تصوير، ينبعث من قدرة الشاعر،ولهذا تعــد دراسة الصورة الفنية ذات أهمية بالغة في الكشف عن الكثير من المجالات المتصلة بمبدعها،الذي ضمنها جميع طاقاته الفنية وقدراته علي استعمال اللغـــة بطريقــة خاصة،وقد اهتم الباحثون من نقاد وبلاغيين بدراسة الصورة الشــعرية،ومحاولة تفسير مفهومها وجوانبها وما تنطوي عليه من مضامين مختلفة،وقد اختلف النقاد حول حقيقة الصورة، ففريق يصر علي الاختلاف بين الصورة والأوجه البلاغية وفريق يوحد بين الصورة والبلاغة وهم الأكثرية ولكل فريق حجته،وتحدثت عن الأساس الذي تقوم عليه الصورة الفنية؟وما هي أهميتــها؟ ومـــا الهــدف مـــن استخدامها؟وما علاقة الصورة بالمتلقي؟وما هي شـــروط الصـــورة الشـــعرية الموفقة؟وأشرت إلي أهمية الصـــورة المبتكـــرة أو المخترعـــة ودلالتـــها علـــي الشاعرية،وكان التركيز عن مفهوم الصورة عند القدماء.

Résume

Chaque travail littéraire nécessite une image qui provient du poète, pour cela l'image poétique compte considérablement sur la création ;c'est à cette cause là que les chercheurs,et les critiques littéraires et les rhétoriciens, s'intéressent à l'étude de l'image ,et à sa signification,et à son environnement . les critiques littéraires ne partage pas les mêmes avis à propos de

la réalité de l'image ;certaines insistent sur la différence entre l'image et les formes rhétoriques,alors que d'autres conjuguent l'image avec l'image rhétorique , et chacun à ses arguments.

Dans cet article, j'ai insisté sur les bases fondatrices de l'image, et son importance, le but de son utilisation, la relation entre l'image et son interprétation, et ces conditions littéraires , et je me suis basé sur l' ancien concept.

إن كل عمل أدبي يشتمل علي تصوير، ينبعث من قدرة الشاعر علي ترتيب عباراته، وتنسيقها وقدرته علي الإيحاء والتعبير عن تجربته الشعورية، "وإن كان شعرنا القديم لم يحفل بالصورة المشحونة بتجارب وأطراف من تجارب الشاعر إلا في النادر فهذا لم يمنع من ظهور الصورة التي ترسم مشهدا أو موقفا نفسيا وصفا مباشرا".(1)

تعد دراسة الصورة الفنية ذات أهمية كبري في الكشف عن الكثير من المجالات المتصلة بمبدعها، الذي ضمنها جميع طاقاته الفنية وقدراته علي استعمال اللغة بطريقة خاصة، فضلا علي أنها تشير إلي مدي استيعابه لتراث أمته،وموقفه من هذا التراث ومدي إجادته للدور الذي ينبغي القيام به إزاء الوضع الحضاري القائم في عصره،وقدرته علي معالجة ما يستحق المعالجة من جوانبه،فهي تكشف عن أهم سمات الشاعر الفنية، وخصائصه وغاياته من عمله، ووعيه بقيمة(2)، ولهذا اهتم الباحثون من نقاد وبلاغيين منذ بدء العمل في مجال النقد الأدبي والبلاغة بدراسة الصورة الشعرية، ومحاولة تفسير مفهومها، ودراسة جوانبها وما تنطوي عليه من مضامين مختلفة "فالصورة الفنية هي وسيلة الناقد التي يستكشف بها القصيدة وموقف الشاعر من الواقع"(3)، لأنها تحتل مكانا جوهريا في

كل إبداع شعري،وانقسم النقاد في طبيعة الصورة إلي فئتين،الفئة الأولي تصر علي الاختلاف بين الصورة والأوجه البلاغية،يقول أدو نيس:"يخلط الكثيرون بين التشبيه والصورة، حتى لينذر بين قراء الشعر الجدد وناقديه أن يميزوا تميزا صحيحا بينهما،فالتشبيه يجمع بين طرفين محسوسين إنه يبقي علي الجسر بينهما فهو ابتعاد عن العالم،أما الصورة فتهدم الجسر لأنها توحد بين الأشياء،أما الفئة الثانية وهي الأكثرية يميل أصحابها إلي التوحيد بين الصورة والبلاغة،أو بين الصورة والاستعارة،ويحبذ استعمال لفظ صورة علي بلاغة،أما البستاني فقد وحد بين مفهوم الصورة ومفهوم الأوجه البيانية واعتبر أن هذه الأخيرة هي مظاهر الصورة في الكتابة فقال:"اعلم أني لست أقول لك انك متى الفت الشيء ببعيد عنه في الجنس علي الجملة فقد أصبت وأحسنت لكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا"(4)،والأسلوب عند ابن خلدون هو صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة،وهذه الصورة يحولها الخيال إلي قالب ويختار الشاعر التراكيب الصحيحة ويسكبها في القالب،فمفهوم الصورة عند ابن خلدون مقترن بالقالب الخارجي الذي يحوي الكلام السائر علي الأنماط العربية الصحيحة، ولذلك فهي تحمل معني الرصف لا الخلق،(5) "والصورة هي تصور حسي في البناء الفكري للناقد أو الأديب يكتشف عن طريق الدلالات اللغوية والنفسية والفنية،أو تصور ذهني يتم عن طريق التشبيه أو الاستعارة،وظيفتها إحياء كل ماله علاقة بالاستعمال الاستعاري للكلمات المدرجة في النص الأدبي"(6) أما الصورة الذهنية فهي عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبر عنها (7)،وفي الأدب قد

تكون الصورة الذهنية تشبيها أو استعارة،ولكن ما يميزها عن غيرها بصفة خاصة هو أنها لا تعتمد علي علاقة ذهنية بحتة بين عبارتين متجانستين، وإنما وظيفتها الإيحاء بالملموس وذلك بأن تصور الألوان والأشكال والحركات وغيرها من حالات الأشياء تصويرا كلاميا يدركه القارئ مباشرة ،"والصورة مولود الخيال وهي وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما بقلبه وعقله وإيصاله إلي غيره ذلك لأن ما بداخله من مشاعر وأفكار يتحول بالصورة إلي أشكال وصفت بأنها أشكال روحية"(8) وقد ذكر البطل إن للصورة مفهومان: مفهوم قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز،وحديث يضم إلي الصورة البلاغية نوعين آخرين هما:الصورة الذهنية والصورة باعتبارها رمزا(9)، والصورة بطبيعتها تعد دعامة أساسية في بناء القصيدة العربية،"وهي تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها،فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلي جانب مالا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية"(10)لأن أمر الصياغة في الأدب ليس شكليا،فهو ليس أمر مجازات أو تشبيهات تتعلق بظواهر الأشياء،أو تستخدم لإيضاح المعني وتقويته،بل هو أمر الخلق الفني في صميم حقيقته"(11)

فالمهم في أمر الصورة" ليس المعني من ورائها كما تطلب ابن قتيبة ولا المجاز كما تطلب عبد القاهر ولكنه التشكيل الفني في ذاته لأنه هو الخلق الذي يعمد إليه الشاعر" (12)، وهي في أساسها تقوم علي الانفعال والعاطفة،إذ تحمل داخل النص الشعري أبعادا فنية متعددة وهذه الأبعاد لا تتحقق إلا إذا كانت الصورة بألفاظها، وتراكيبها الأسلوبية والبلاغية قادرة

علي الإيحاء بهذه الأبعاد، ومن هنا كانت عناية الشاعر العربي منذ القدم بالناحية الجمالية، ويرجع جزء كبير من قيمة الشعر الجمالية إلي الصور الشعرية"فالصورة هي التي تكسب الكلام صفة الشعرية"(13) لأنها ميدان تبرز فيه مقدرة الشاعر الفنية،فالقارئ أو السامع يتطلع إلي ما صور به الشاعر مشاعره من عناصر الحس وما وقع في دائرته واختاره لبلورة أفكاره، ومعانيه وعليه فالصورة الشعرية لم تستعمل لذاتها وإنما يلجأ إليها الشاعر لتلوين تجربته، ولتشكيل جزءا من البناء الفني للقصيدة، وكلما كانت الصورة الشعرية مبتكرة أقبل عليها المتلقي أكثر ورسخت في مخيلته، يستحضرها كلما راق له الاستمتاع بها، والشاعر الحاذق هو من يتمكن بقدرته الإبداعية أن يفجر ما في الصورة الشعرية من طاقات تعبيرية،ودلالات فنية، تتكشف من خلال موقعها في السياق النفسي للقصيدة كلها،هذا السياق الذي تصنعه خطرات الشاعر، وتموجاته النفسية وطاقاته الفكرية،إن ذات الشاعر في هذا الإطار التصويري لها دورها الفعال الذي تتلون الصورة وفقا له، وتسمو أو تهبط كما تقوي أو تضعف بناء علي الكثير من الاعتبارات المتعلقة به، ولعل أهم هذه الاعتبارات دراية الشاعر" بأن الشعر هو بوح الشاعر بذات نفسه من خلال صوره " (14)فشعره دون شك يصطبغ بهذه النفس التي يصدر عنها، ويتشكل وفقا لما تؤثره من ألوان التصوير، وألفاظ اللغة التي تنتقيها وتؤثرها دون سواها، باعتبار اللغة هي المنطلق الذي تتخذ الصورة مادتها وأشكالها الفنية من أساليبه، وطرق أدائه فعملية الإبداع الشعري تتمثل اقوي ما تتمثل في إبداع اللغة، مما يشير إلي مالها من دور أساسي تؤديه في سبيل تحقيق الغاية الفنية من التصوير والإبداع "فالصورة الشعرية ليست شيئا

منفصلا أو مختلفا عن التركيب اللغوي الذي يجسدها "(15)يقول ريقردي:"الألفاظ هي لكل الناس وعلي الشاعر أن يخلق منها ما لم يتمكن غيره من خلقه،فالصورة الشعرية تفجر اللغة من الداخل، وتقطع الخط الذي يخطه الكلام العادي بين المرسل والمرسل إليه، ويضطرب بالتالي المفهوم المعجمي للغة كوظيفة

تعبيرية "(16)،فالشاعر في تعامله مع اللغة" يحاول أن يدفعها في اتجاه جمالي يصنع الجمال بالكلمات كما يصنعه الرسام بواسطة الألوان" (17)

والصورة الشعرية الموفقة هي التي تترابط أجزاؤها، وتتكامل فلا تشعر بضعف في بنائها،وهي التي تتشكل في مكانها الطبيعي وبحدودها الفنية مكونة مع أجزاء القصيدة الأخرى وحدة متكاملة "فالصورة الفنية هي التي تضبط انفعال الشاعر،وتكفل تسجيله ونقله إلي الآخرين فبغير هذه الصورة لا يتحقق غرض الشاعر،فالاعتماد علي مجرد التعبير الطبيعي عن الانفعال لا يكفي لبلوغ الشاعر ما يريد" (18)كما أن تخير الشاعر لصوره لا يكشف عن قدراته العقلية المتعلقة بالحسيات فقط ولكن أيضا عن اهتماماته وذوقه ومزاجه وقيمه ورؤيته.

ومن الدراسات ما يوضح الصورة علي أنها مرادفة للاستعمال الاستعاري"فتستعمل كلمة الصورة –عادة–للدلالة علي كل ماله صلة بالتعبير الحسي،وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات،فإن لفظ الاستعارة إذا حسن إدراكه قد يكون أهدي من لفظ الصورة، وان الصورة إذا جاز الحديث المفرد عنها لن تستقل بحال ما عن الإدراك الاستعاري ..." (19)والاستعارة "اشد المصادر حيوية للغة وربما لجميع النظم الرمزية بحيث عدت ذروة الكلام الذي هو ذروة الفكر"(20)

"فبدونها لا يوجد شعر لأنه بجوهره استعارة"(21) ويتعاون في تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته،ومقدرته في الربط بين الأشياء المتنافرة في الواقع لإثارة العواطف والملكات التخيلية وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه،وعد القدماء ذلك من الفطنة والبراعة فقالوا:"وهكذا تري التشبيه بين المتباعدين يعمل عمل السحر،فيحصر لك المسافة بين المشرق والمغرب،وينطق لك الأخرس،ويريك البيان في الأعجم وتري في التئام الأضداد وتري احدي الصورتين في السماء والأخرى في الأرض" (22)وقد رأي فيه النقاد العرب "جانبا من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة ولذا جعلوه أبين دليل علي الشاعرية"(23)

وردوا قيمة الصورة في كثير من الأحيان إليه فقالوا:"وكلما كان التباعد بين الشيئين أشد كانت قيمة التشبيه الفنية أعظم لأنه يشبع في النفس البشرية حب التطلع إلي الجديد،وشغفها به،فقد فطرت علي الإعجاب بما يظهر من مكان لم يعهد ظهوره فيه،وعلي الاحتفاء ما يخرج من موضع ليس بمعدن له "(24)ونعتقد أن التشبيه أقرب شيء إلي مفهوم الصورة في عصرنا،وهو أكثر الأنواع البلاغية أهمية عند الناقد العربي القديم الذي فصل فيه القول،ووضع له المقاييس المختلفة التي تحدد مدي الجودة فيه، فالمرزوقي يحدد عمود الشعر في سبعة مبادئ:شرف المعني وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته،والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها علي تخير من لذيذ الوزن،ومناسبة المستعار منه للمستعار له،ومشاكلة اللفظ للمعني، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما"(25)وتكلم ابن الأثير عن الصورة الشعرية فقال محددا أنواع

بمعني"(26) وتكلم حازم القرطاجني كذلك عليها من خلال شرحه للتخييل والمحاكاة التشبيهية فقال:إن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان،فكل شيء له وجود خارج الذهن فانه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيأة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم (27)، ويبدو أن مفهوم الصورة عند القدماء كان يسير ضمن دائرة محددة المعالم، ضيقت علي الشاعر آفاقه فقد وجه اهتمام الشاعر إلي مسايرة عمود الشعر فأساس المفاضلة بين الشعراء قائم علي مفهوم عمود الشعر، والتفاضل بينهم يكون في "شرف المعني وصحته وجزالة اللفظ واستقامته،وسلموا قصب السبق لمن وصف فأصاب،وشبه فقارب،وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوا رد أبياته،ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض" (28)

لقد انحصر اهتمام نقاد العرب في المعني وقوة اللفظ والمقاربة في التشبيه ...(عمود الشعر)وهذا الاهتمام قيد الشاعر في التصوير من جوانب كثيرة،فبدأ يبحث جاهدا- متناسيا انفعالاته-عن الصورة الشعرية التي توافق هذه المقاييس،فاهتم بالشكل الخارجي للصورة الشعرية دون الاهتمام بجوهر الصورة وارتباطها بعمله الفني بشكل عام،وهذا العمل يفقد الصورة الشعرية أهم مقوماتها، وهو الأثر النفسي أو الانفعال مع الصورة ضمن الإطار العام للعمل الفني،ولما كان اهتمام الشاعر ينصب علي القالب الخارجي للصورة فقد جاءت صوره حسية ،وقد أكد النقاد علي ضرورة المقاربة بين طرفي الصورة وبالطبع لا يتحقق ذلك إلا إذا كثرت

الصفات التي تدعم المشابهة وهذه الصفات خارجة لا تتصل بالقيمة النفسية للأشياء،أو بالمحتوي العاطفي بقدر ما تتصل بالتناسب الشكلي بين أطراف الصورة الواحدة، وبمعني أخر التناسب المادي بين عناصر الصورة،هذا وقد كان لوحدة البيت الأثر الكبير في تضييق دائرة الصورة الشعرية،فقد ترتب عن هذه النظرة أن جاءت صور الشعراء جزئية، وان كانت في بعض الأحيان ترتبط بالعمل الفني بشكل عام،وقد حصر نقاد العرب وظيفة التشبيه والاستعارة في توضيح الكلام وإبعاده عن الغموض،فجعلوا التشبيه ضربين حسنا وقبيحا "فالحسن هو الذي يخرج الأغمض إلي الأوضح فيفيد بيانا،والقبيح ما كان خلاف ذلك"(29)، وجعلوا فائدة الاستعارة شرح المعني،وفضل الإبانة أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة (30) غير أن عبد القاهر الجرجاني كان يري عكس ذلك حين رأي أن الجمال في خفاء الاستعارة والعيب في التشبيه الواضح"اعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت التشبيه إخفاء زادت الاستعارة حسنا، حتى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد ألف تأليفا،إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلي شيء تعافه النفس ويلفظه السمع (31)فالخفاء وعدم الوضوح يفتحان أفاق التخييل والتصور للسامع وبهما تكسب الصورة قيمة خاصة،وأن مرد الوضوح الذي ألح عليه نقاد العرب في الصورة هو الإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه،فحينما يصيب الشاعر في الوصف ويقارب في التشبيه تأتي صورته واضحة المعالم،وكأنهم بهذا المفهوم يقللون من قيمة الخيال الشعري للشاعر ويحددون آفاقه الشعرية في تصوراته المختلفة.

ومن خلال مقدمة ابن أبي عون لكتابه التشبيهات نلاحظ الصلة بين الشاعرية والقدرة علي التشبيه،وكذلك بين القدرة علي التشبيه ولطافة الحس والقدرة علي التمييز التي توحي بفكرة الفطنة علامة الشاعرية الثانية عند نقاد العرب "إن الشعر مقسوم علي ثلاثة أنحاء:منه المثل السائر...والاستعارة الغريبة والتشبيه النادر... ورأيت أجل هذه الأنحاء وأصعبها علي صانعها التشبيه، وذلك انه لا يقع إلا لمن طال تأمله ولطف حسه وميز بين الأشياء بلطف فكره" (32)

ولقد أشار غير واحد من النقاد إلي أهمية الصورة المبتكرة أو المخترعة ودلالتها علي الشاعرية الفذة،لأن في الاختراع قدرة علي التوصل إلي شيء جديد لم يسبق إليه فقد احتج لامرئ القيس في تفضيله علي شعراء الجاهلية بأنه سبق العرب إلي أشياء ابتدعها استحسنها العرب واتبعه فيها

الشعراء " (33)وهذه القدرة علي الابتكار ما هي إلا دليل الشاعرية،وتقف الصورة النادرة في طليعة الصورة التشبيهية وقد عبر نقاد العرب عن هذه الصورة بعدد من المصطلحات منها، التشبيهات العقيم التي يقول عنها ابن رشيق"لم يسبق أصحابها إليها، ولا تعدي أحد بعدهم عليها "(34)أي أن مفهوم الصورة العقيم عنده تعني مفهوم الاختراع نفسه فالاختراع"ما لم يسبق إليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه" (35) ولعبد القاهر الجرجاني تصور أوسع وأوضح من التصورات السابقة للصورة النادرة "فهي إدراك الذي لا يقع ذكره بالخاطر دائما ولا يتوصل إليه الشاعر إلا في الفرط بعد الفرط " (36)فالنادر والغريب هما ما لا يعتاد أو يؤلف،ويكون بما يحدثه الشاعر من إيقاع

الائتلاف بين المختلفات،فالسامع يدرك أن ثمة علاقة بين أشياء متباعدة،لا تربطها علاقة ظاهرية جمعها الشاعر،علي نحو غريب أو نادر،ثم أن الصورة إذا ظهرت من مكان لم يعهد ظهورها منه، أو خرجت من معدن ليس بمعدنها،كانت صبابة النفوس بها أكثر،وكان الشغف بها أجدر فسواء في إثارة التعجب وإخراجك إلي المستغرب،وجودك الشيء في مكان ليس من أمكنته ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته(37) وهذه إضافة أخري للتصورات مفادها أن الصورة النادرة قد تكون في مخالفة العادة المألوفة،أما التشبيه المعكوس فمن الوسائل المتبعة لإضفاء لون من الطرافة علي الصورة الشعرية، والصورة الطريفة مستجادة في موضعها، فهي غريبة في معناها من ناحية، مبتكرة من ناحية أخرى.

وآخر أنماط الصورة التشبيهية الصورة المثالية، ومن المعايير التي قررها المرزوقي في التشبيه الصادق وهو ما لا ينتقص عند العكس وأحسنه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لأنه حينئذ يدل علي نفسه،ويحميه من الغموض والالتباس(38)، ويسير عبد القاهر الجرجاني علي المنهج نفسه،فأفضل الصور ما قام علي استنفاذ في قوة الاستقصاء بحيث يغدو المشبه كأنه المشبه به عينه "وجملة القول انك متى زدت في التشبيه علي مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة فقد دخلت في التفصيل والتركيب،وفتحت باب التفاضل،ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة استنفاذك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد"(39)

وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة،فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة وغيرهما من وسائل الأداء المجازي والتصوير البلاغي

وقد التفت غير واحد من نقاد العرب إلي أهمية الاستعارة في الشعر باعتبارها عنصرا أساسيا فيه فهي"أفضل المجاز ... وليس في الشعر أعجب منها،وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"(40) "فهي تؤلف بين أشياء ليست تأتلف في حكم الإلف والعادة والتفكير العملي وسرعان ما تصبح هذه العناصر أوتادا يشد عليها التفكير في أمر الصور الشعرية فنعود لا ندرك منها إلا ما كان يستقيم مع هذا الفهم العملي " وتكمن فائدتها في أنها تعطي للشاعر ما يشاء لخياله من خصوصية وامتياز حقيقيين" (41) في إبراز البيان "في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا،وتوجب له بعد الفضل فضلا "(42)، ولكن هذه الأهمية ظلت تدور في إطار عمود الشعر فهي جيدة إذا خرجت مخرج التشبيه وعلي هذا الأساس تحدد مفهوم الاستعارة في التراث العربي وأصبح ينظر إليها علي أنها علاقة لغوية تقوم علي المقاربة وشأنها في ذلك شأن التشبيه لأن التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتبسة من صورة "(43)وقد وضع النقاد العرب حدا للاستعارة تصلح فيه فان تجاوزته فسدت وقبحت "وإنما تصح الاستعارة وتحسن علي وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقاربة "(44)وهو أن تكون الصلة أو وجه الشبه في الاستعارة ظاهر الشمول للمشبه والمشبه به،"والاستعارة تجعل الجماد حيا ناطقا وترينا المعاني الخفية بادية جلية(45) وهذا يقترب من مفهوم التشخيص.

وتحمل الصورة الفنية طابع الشاعر الخاص "فالصورة وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ويصبغ بها خياله فيما يسوق من عبارات وجمل لأن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب،وفيه يتجلي طابعه الخاص،والكاتب في أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي الذي هو سبيله"(46) ويري العشماوي "أن الصورة في الشعر ليست إلا تعبير عن حالة نفسية يعانيها الشاعر إزاء موقف معين وأن أي صورة داخل العمل الأدبي إنما تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصورة الجزئية الأخرى،إن ربط الصورة بالحالة النفسية للشاعر أمر واضح،لأن التفنن في رسم صورة شعرية لدي أي شاعر ما هو إلا صدي وانعكاس لإحساسه الباطني" (47)

ومن أهم خصائص الأدب تصوير الأفكار"ففي صور الشعر كما في شخصيات القصص والمسرحيات تتحرك الأفكار وتنمو،وتنبض بالحياة التي تكفل لها التأثير والخلود" (48)

والصورة لا تعني بالنسخ الحرفي للواقع،أو مسخه مسخا ،فهي لا تنقل ما فيه من أشياء نقلا آليا،بل هي عالم جديد،بما تحويه من إعادة بناء الحياة نفسها،وبث الإدراك في الجوامد،وتوظيف اللغة توظيفا غير عادي لتعطي للمبدع ضالته، فالصورة الشعرية"جوهر الشعر وأدواته القادرة علي الخلق والابتكار، والتحوير لأجزاء الواقع،وطريقة الشاعر في تشكيله اللغوي تمثل أسلوبه في إدراك الواقع، ولا يتحتم بالضرورة مجازية الكلمة لتشكيل الصورة بالوسائل البلاغية المعروفة،فقد تحمل الكلمة تصويرا، وتؤدي العبارة صورة،دون أن تتوسل بالمجاز أو بغيره من عناصر التصوير،"وقد تكون عبارات حقيقية الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة علي

خيال خصب،فالشاعر يحاول أن يقترب باللغة من روحها البدائية الأولي وكلما قربت من وضعها البدائي كلما كانت تصويرية (49)

وقد تتعدد الصور أمام المتلقي وله حرية التخيل حسبما تسعفه قدراته،وقد تبدو علي شكل ضمني حيث لا تبدو خيوط تشكيلها المألوفة صريحة ولكن بتخيل المتلقي ومقدرته علي تفجير ما في الألفاظ من طاقات تصويرية بخياله الخاص قد يذهب إلي تصوير صور فنية قد يتفق فيها مع ما يرمي إليه الشاعر من وراء الألفاظ الصريحة والعلاقات المباشرة القائمة في التشكيل اللغوي،وقد يفوق بخياله خيال المبدع ،حتى أن النقد الأدبي حينما يحاول الاقتراب من حقيقة مفهوم الصورة الفنية نراه كثيرا ما يشير صراحة إلي صعوبة تحديده وغموضه.

ولعل أقرب التعريفات الفنية للصورة ما ذهب إليه عبد القادر القط إلي أنها "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني،والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولي التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني،أو يرسم بها صوره الشعرية" (50) فالصورة تنمو نتيجة خلق العلاقات الجديدة بين مفردات اللغة التي عجزت في وضعها العادي عن التعبير عن تجربة الشاعر الخاصة،ومهما اختلف النقاد والأدباء في تعريف الصورة فإنها تشكل إبداعية العمل الشعري،لأنها أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته ويرسم مشاهدا من حياته وواقعه، قوامه الكلمات وما يحدثه بينها من علاقات يبتكر بها دلالات جديدة غير

مباشرة يبني بها عالما جديدا متميزا يجمع فيها بين عناصر متباعدة في إطار من الانسجام،فالصورة تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيله ،و"هي وسيلة تعبيرية لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضي الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر،ويوجه مسار قصيدته إما إلي جانب النفع المباشر أو جانب المتعة الشكلية"(51) والصورة وسيلة من وسائل الإقناع"وهي ليست من قبيل الزينة الطارئة علي المعني الأصلي وكان الشاعر يتمخض -كما يقال-المعني الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ثم يعد له بعد ذلك ما يلبسه إياه من الصور التي تناسبه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه"(52) فالصورة تميز بين الشعر والنثر(53) وهي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته ويتفهمها كي يمنحها المعني والنظام،وليس ثمة ثنائية بين معني وصورة،أو مجاز وحقيقة،أو رغبة في إقناع منطقي،أو إمتاع شكلي،فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها ويجسدها بدون الصورة وعليه فالصورة وسيلة حتمية،لإدراك متميز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله،وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف والتعرف علي جوانب خفية من التجربة الإنسانية."(54)

المصادر والمراجع:

1 -إسماعيل عز الدين،التفسير النفسي للأدب،دار العودة بيروت،ط4، 1981 ،ص89

2 -فرج العقدة(فتحية محمود)،الصورة الفنية وتطورها عند رواد التجديد في الشعر العباسي،دكتوراه،جامعة عين شمس،القاهرة ،1989 ،ص7

3 -عصفور (جابر)،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب المركز الثقافي العربي ،ط3 ،1992 ،ص7

4 صبحي(البستاني)،الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع،دار الفكر اللبناني،ط1 ،1986 ،ص19 - 28

5 -المرجع نفسه،ص29

6 - حجازي(سمير سعيد)،قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر،دار الآفاق العربية،ط1 ،2001

7 - معجم مصطلحات الأدب ،انجليزي فرنسي عربي ،مكتبة لبنان

8 - جودت (فخر الدين)،الايقاع والزمان،دار المنهل للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،1995 ،ص39

9 - البطل(علي)،الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ،دار الأندلس للطباعة والنشر ،ط1980،1

10-المرجع السابق،ص30

11 - مندور (محمد)،في الميزان الجديد،ص126

12-البطل(علي)،المرجع السابق،ص31

13–محمد(الولي)،الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،1990 ،ص49

14 – فرج العقدة(محمود فتحية)،الصورة الفنية وتطورها عند رواد التجديد في الشعر العباسي ،ص19

15 – إسماعيل(عز الدين)،التفسير النفسي للأدب ،ص89

16– البستاني(صبحي)،الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع ، ،ص31

17 –المرجع نفسه ،ص82

18 –النويهي (محمد)،محاضرات في عنصر الصدق في الأدب،معهد الدراسات العالية ،1959 ،ص63

19 – ناصف(مصطفي)،الصورة الأدبية ،دار الأندلس للطبع والنشر والتوزيع،ط2 ،1983 ،ص3 –8

20 – فرج العقدة فتحية محمود)،الصورة الفنية وتطورها عند رواد التجديد في الشعر العباسي،ص19

21 – صبحي البستاني،الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع ،ص68

22 – المرجع نفسه،ص 55

23 – ناصف(مصطفي)،الصورة الأدبية ،ص46

24 – الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)،أسرار البلاغة،مطبعة المدني القاهرة،1991 ، ص290

25 –المرزوقي(أبو علي احمد بن محمد بن الحسن)، مقدمة شرح ديوان الحماسة،نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون،دار الجيل ،بيروت ،1991 ،ج1 ،ص10

26 –ابن الأثير(ضياء الدين)، المثل السائر في ادبب الكاتب والشاعر،تقديم وشرح وتعليق،أحمد الخوفي وبدوي طبانة ،مكتبة النهضة ،مصر ط1 ،1962 ،ص 153

27 – حازم القرطاجني(ابو الحسن حازم بن محمد بن الحسن) منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تحقيق محمد الحبيب بن خوجة،المطبعة الرسمية بتونس،1966 ،ص18 –19

28 – الجرجاني(عبد العزيز)، الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية،مصر،1945 ،ص 33–34

29 – ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1 ،2001 ،ج1 ،217

30 –العسكري(أبو هلال)، الصناعتين،تحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة الحلبي ،القاهرة 1971،ص268 .

31–الجرجاني(عبد القاهر)،دلائل الإعجاز،تصحيح الشيخين محمد عبده،ومحمد الشنقيطي،طبعة المنار ،القاهرة،(د–ت)،ص292

32 – ابن أبي عون ،كتاب التشبيهات ،تحقيق محمد عبد المعين خان،كمبردج،1950 ،ص1

33 – ابن سلام،طبقات فحول الشعراء،تحقيق محمود محمد شـــاكر،دار المعارف،القاهرة،1952 ،ج1 ،ص55

34 – ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1 ،ص296

35 – المصدر نفسه،ج1 ،ص116

36 – الجرجاني(عبد القاهر)،أسرار البلاغة،ص151

37 –المصدر نفسه،ص181

38 – مقدمة شرح ديوان الحماسة ج1 ،ص9

39 – الجرجاني (عبد القاهر)،أسرار البلاغة،ص164

40 – ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشـــعر وآدابه ونقده،ج1 ،ص268

41 –ناصف(مصطفي)،الصورة الأدبية،ص145

42 – الجرجاني (عبد القاهر)،أسرار البلاغة،ص33

43 – المصدر نفسه،28

44 –الجرجاني(عبد العزيز)،الوساطة بين المتنبي وخصومه،ص 429

45 – الجرجاني (عبد القاهر)،أسرار البلاغة ،ص41

46– هلال(محمد غنيمـــي)،الأدب المقـــارن،دار نهضـــة مصـــر،1977 ،ص279

47 – العشماوي(محمد زكي)،دراسات في النقد العربـــي المعاصـــر،دار النهضة للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،1995 ،ص39

48 – هلال (محمد غنيمي)،دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده،دار نهضة مصر، ص48

49 – البطل(علي)،الصورة في الشعر العربي حتى أخر القــرن الثــاني الهجري،دراسة في أصولها وتطورها ،ص25

50 –القط(عبد القادر)،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر،مكتبة الشباب ،1986 ،ص435

51 عصفور(جابر)،النقد الأدبي الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ،ص331

52 – ابن طباطبا ،عيار الشعر،تحقيق طه الحاجري،ومحمد زغلول سلام ،المكتبة التجارية ،القاهرة،1956 ،ص5

53 –صبحي البستاني ،الصورة الشعرية في الكتابــة الفنيــة الأصــول والفروع،ص32

54 – عصفور جابر ،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغــي عنــد العرب ،ص382